السنة الثانية ليسانس: دراسات أدبية / لغوية / نقدية 2023/2022

التجديد الشعري في المشرق

الشاعر إبراهيم ناجي

لقد مر التجديد الشعري في المشرق العربي بظروف مختلفة حسب المراحل التاريخية المتلاحقة وحسب حظوظ البلدان من الاتصال بالغرب أو طبيعة الاستعمار الذي خضع له كل بلد أو إقليم، وهي الظروف التي أتاحت للمبدعين من أبناء مصر في المشرق العربي أكثر من غيرها في أن تظهر ملامح التجديد لدى شعرائها، فبعد بزوغ نجم أمير الشعراء **أحمد شوقي** في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وقبل حلول القرن العشرين لمَعَ نجمُ الشاعر **إبراهيم ناجي** الذي ولد في القاهرة عام 1898، والتحق بالمدرسة الابتدائية ثم بالمدرسة التوفيقية ثم الثانوية حتى تَمَكَّن من الالتحاق بكلية الطب وتخرج منها عام 1922، ثم عين طبيبا في مصلحة السكك الحديدية ...

ومما أثر في تكوين شخصية **ناجي** الأدبية نشأتُه في بيئة معرفية مفتوحة كانت تتميز بها مصر عموما والقاهرة خصوصا، حيث شهدت بداية القرن العشرين بزوغ أعلام بعض الأدباء بالإضافة إلى الشاعر أحمد شوقي نجد مصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد فارس الشدياق وحافظ إبراهيم ومحمود سامي البارودي وأحمد أمين وعباس محمود العقاد وإبراهيم المازني ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم، كما كان للبيئة الأسرية الخاصة التي نشأ فيها **إبراهيم ناجي** دور مهم في ظهور شخصيته الأدبية حيث كان أبوه مثقفا مشهورا بحبه للثقافات الأجنبية بحكم طبيعة عمله باللغة الإنجليزية في مصلحة التلغراف، وامتلاكه لمكتبة ضخمة في بيته، الأمر الذي أتاح لشاعرنا القدرة على إجادة اللغة الإنجليزية والفرنسية فكان يحفظ روايات شكسبير، وعمل سنة 1926 على ترجمة أشعار (ألفريد دي موسيه) و(بودلير) ونشَرَها في صحيفة (السياسة)، كما كان يفهم بعض اللغات الأخرى كالإيطالية والألمانية...، وتوفي سنة 1953 بعد صراع مع مرض في الرئة.

أما حياته الفنية فقد تميزت بتأثره بالمذهب الرومنسي بعدما اطلع على أعمال الشاعر اللبناني (خليل مطران) وانبهر بأفكاره التجديدية في مفهوم الشعر وخصائصه وأهدافه ذات المصدر الغربي، فشارك في تأسيس جماعة (أبولو) ذات التوجه الرومنسي في شهر سبتمبر من سنة 1932، وقد ضمت هذه الجماعة عددا كبيرا من الشعراء من مختلف البلاد العربية مشرقا ومغربا،

توحدت نظرتهم حول ضرورة رفض التقليد لتحقيق استقلالية الشاعر، والميل إلى السهولة في الفكرة والبساطة في التعبير.

خلّف الشاعر إبراهيم ناجي آثارا عدة أهمهما:

- وراء الغمام (ديوان) 1934.
- حكيم البيت (مجلة شهرية) 1934.
- ليالي القاهرة (ديوان) 1941.
- مدينة الأحلام (مختارات).
- الطائر الجريح (ديوان) تم جمعه بعد وفاته.

أما أهم الخصائص الفنية التي شكلت أنموذج التجديد في شعر **إبراهيم ناجي** فتتمثل فيما يلي:

1 الوحدة العضوية للقصيدة:

ويعني أن تكون القصيدة خاضعة في بنائها الفني إلى النمو المتراتب الذي يؤدي فيه كل عضو إلى الذي يليه حتى يكتمل البناء الكلي، وتكون القصيدة حينئذ كالتمثال الذي يتشكل من أجزاء متعددة بحيث تتموضع كل فكرة في مكانها فيمتنع أن نحذف أي جزء من القصيدة أو نضيف إليها، كما يمتنع أن نغير في ترتيب أية فكرة منها. والوحدة العضوية تختلف عن الوحدة الموضوعية التي تعني الالتزام في النص بموضوع واحد.

2 الميل إلى شعر الرباعيات:

وهو نوع من الشعر ظهر قديما، تتألف القصيدة فيه من أجزاء كل جزء يسمى رباعية، وتتألف كل رباعية من أربعة أشطر أي أن كل رباعية تحتوي على بيتين يشتركان في قافية بحرف روي واحد، وتتكرر القافية في البيت الأول منهما في كلا الشطرين فيما يشكل (التصريع)، لكن شاعرنا يختار بعض قصائده من رباعيات الأبيات لا الأشطر، مع الالتزام أحيانا بالتصريع في البيت الأول من كل رباعية كما هو واضح في قصيدة الأطلال:

يا فُــؤَادِي رَحِــمَ اللهُ الهَوَى كَانَ صَرْحاً مِنْ خَيَـالٍ فَهَوَى
اِسْقِنِي واشْرَبْ عَلَى أَطْـلاَلِهِ وارْوِ عَنِّي طَالَمَا الدَّمْعُ رَوَى
كَيْفَ ذَاكَ الحُبُّ أَمْسَى خَبَراً وَحَدِيْثاً مِنْ أَحَادِيــثِ الجَوَى
وَبِسَــــاطاً مِنْ نَدَامَى حُلُمٍ هم تَوَارَوا أَبَداً وَهُـــوَ انْطَوَى

.....

يَارِيَاحاً لَيْسَ يَهْدا عَصْفُهَا نَضَبَ الزَّيْتُ وَمِصْبَاحِي انْطَفَا
وَأَنَا أَقْتَـاتُ مِـنْ وَهْمٍ عَفَا وَأَفي العُمْـرَ لِنِـاسٍ مَـا وَفَى
كَـمْ تَقَـلَّبْتُ عَلَى خَنْجَرِهِ لاَ الهَوَى مَالَ وَلاَ الجَـفْنُ غَفَا
وَإذا القَلْـبُ عَلَى غُـفْرانِهِ كُلَّمَا غَـارَ بَـهِ النَّصْـلُ عَفَا

.....

يَاغَرَاماً كَـانَ مِنّي في دّمي قَدَراً كَالـمَوْتِ أَوْفَى طَعْمِهُ
مَا قَضَيْنَا سَاعَةً في عُرْسِهِ وقَضَـيْنَا العُمْـرَ في مَأْتَمِهِ
مَا انْتِزَاعي دَمْعَةً مِنْ عَيْنَيْهِ وَاغْتِصَابي بَسْـمَةً مِنْ فَمِهِ
لَيْتَ شِعْري أَيْنَ مِنْهُ مَهْرَبي أَيْنَ يَمْضي هَـارِبٌ مِنْ دَمِهِ

3 النزعة الإنسانية:

وقد تأثر فيها بالاتجاه الرومنسي لمدرسة الشعر المهجري وبصفة خاصة منها الرابطة القلمية، فبحكم هجرة معظم أصحابها عن الوطن العربي منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بسبب سوء الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأوطان العربية، وبحكم عيشهم في مجتمعات يغلب عليها طابع التعدد الفكري والديني والعرقي كان لا بد من البحث عن إطار معيشي يسمح لكل تلك المشارب أن تتفق على نمط عام يتيح لها التعامل مع بعضها وفق أفق شامل يحاول ألا يفرض فيه تيار رؤيته على غيره فلم يكن لهم سوى الاعتماد على فكرة الطابع الإنساني العام وهو ما يشترك فيه كل البشر في كل مكان من الأرض، كالذي يرتبط بالأحاسيس والعواطف البعيدة عن خصوصيات العِرق والدين والمكان.

4 الميل إلى الموسيقى الداخلية:

على الرغم مما يحتويه الأنموذج الشعري العربي القديم من قواعد الأوزان التي ضبطها الخليل بن أحمد الفراهيدي منذ القرن الثاني الهجري، إلا أنها لم تعد تمثل الإطار الكلي لمفهوم الوزن الموسيقي عند شعراء العصر الحديث ومنهم إبراهيم ناجي، حيث اتجه نحو ما يعرف حديثا بالموسيقى الداخلية التي تعنى بتتابع المعطوفات في المفردات والجمل، وبأنواع الحروف وصفاتها وانسجامها وتوافقها ومناسبتها للمحتوى العام للنص، من غير أن تلغي تماما الالتزام بقواعد القصيدة العمودية كما عرفت عند الخليل بن أحمد.

5 استخدام البحور الصافية والمجزوءة:

ويعني ذلك الميل النسبي لدى الشاعر إلى وزن التفعيلة، لكنه بقي محافظا على شرط عدد التفعيلات في البيت أو السطر، مع الميل إلى الاقتصار على تفعيلتين بدلا من ثلاثة، كما يلاحظ كثرة استخدامه لبحرَيْ الكامل والرمل من خلال التفعيلتين (متفاعلن) و(فاعلاتن) التي جاءت بها قصيدة الأطلال سالفة الذكر.

6 استخدام الشطر الواحد:

يختار الشاعر أحيانا الاكتفاء بشطر واحد بدل الشطرين في البيت، وهو بذلك يخطو تجاه ما يعرف لدى الشعراء المعاصرين بالسطر بدل البيت بشطريه، ويثبت في آخر كل شطر قافية تدل على نهايته.

7 عدم الالتزام بالقافية:

كما يختار الخروج على نظام القافية في نهايات الأبيات أو الأسطر، خروجا نسبيا من غير ضبط عددي في تواتر وجود القافية أو عدمها، لأنه يلجأ أحيانا إلى تنويع القافية مع الالتزام في تواترها كل أربعة أبيات بنوع واحد و روي واحد كما في قصيدة الأطلال السابقة، وقد لا يلتزم بذلك كأن يجعل في نهاية كل شطر قافية متغيرة في كل رباعية على الشكل التالي:

رفرف القلب بجنبي كالذبيح و أنا أهتف يا قلب اتئدْ
فيجيب الدمعُ و الماضي الجريح لِمَ عدنا؟ ليت أنا لم نعدْ
.....
لمَ عدنا؟ أو لم نطو الغرام و فرغنا من حنين و ألمْ؟
و رضينا بسكون و سلام و انتهينا لفراغ كالعدم
.....
موطن الحسن ثوى فيه السأمْ و سرت أنفاسه في جوه
و أناخ الليل فيه و جثمْ و جرت أشباحه في بهوه
.....
و البلى أبصرته رأي العيان و يداه تنسجان العنكبوتْ
صحت يا ويحك تبدو في مكان كل شيء فيه حي لا يموتْ

انتهى